

حياة أعظم الرسل

محمد رسول الله ﷺ

# مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

عَاشَ مُحَمَّدٌ فِي بَيْتِ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ ،  
وَكَسَبَ مَعِيشَتَهُ بِاشْتِغَالِهِ بِالتَّجَارَةِ لَهَا .  
وَقَدْ فَكَّرَ فِي مُسَاعَدَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ  
الَّذِي رَبَّاهُ بَعْدَ مَوْتِ جَدِّهِ . وَكَانَ أَبُو  
طَالِبٍ فَقِيرًا كَثِيرَ الْأَوْلَادِ ، فَأَخَذَ مُحَمَّدٌ  
عَلِيًّا — وَهُوَ أَصْغَرُ أَبْنَاءِ عَمِّهِ — لِإِرْبِيئِهِ  
تَقْدِيرًا لِعَمِّهِ ، وَشُكْرًا لَهُ . وَقَدْ أَحَبَّتْ

خَدِيجَةُ عَلِيًّا ، وَأَحَبَّهُ مُحَمَّدٌ ، وَعَامَلَاهُ  
مُعَامَلَةَ ابْنِ لَهْمَا . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَمْشِي  
مُحَمَّدٌ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَيُفَكِّرُ فِي أَنَّ ذَلِكَ  
الْمَعْبَدَ الَّذِي بَنَاهُ النَّبِيُّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ لِيَكُونَ مَكَانًا لِعِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ ، قَدْ  
مُلِيَ بِأَصْنَامٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَلَا تَرَى  
وَلَا تَسْمَعُ . صَنَعَهَا أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ  
الْحِجَارَةِ وَالْأَخْشَابِ ، وَعَدُّوهَا آلِهَةً  
لَهُمْ ، وَعَبَدُوهَا ، وَقَدَّمُوا الضَّحَايَا لَهَا .  
فَأَخَذَ مُحَمَّدٌ يُفَكِّرُ فِي قَوْمِهِ ، وَتَضَاقَقَ



كَثِيرًا فِي نَفْسِهِ ، وَتَأَلَّمَ لِحَالِهِمْ ، ثُمَّ نَظَرَ  
مُحَمَّدٌ حَوْلَهُ فَوَجَدَ الْمُجْتَمَعَ فَاسِدًا كُلَّ  
الْفَسَادِ ؛ فَالنَّاسُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ،  
وَالْأَغْنِيَاءُ يَضْطَهُدُونَ الْفُقَرَاءَ ، وَيَأْكُلُونَ  
أَمْوَالَ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ ، وَيُسَلِّفُونَ  
الْمُحْتَاجِينَ نُقُودًا بَارِبَاحٍ بَاهِظَةٍ .

رَأَى مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ الْمُجْتَمَعَ  
الْفَاسِدِ انْتِشَارَ الْخِلَاعَةِ وَالْفُجُورِ ، رَأَى  
جَشَعَ الْأَغْنِيَاءِ وَطَمَعَهُمْ ، رَأَى الْقَسْوَةَ  
وَالْوَحْشِيَّةَ إِلَى دَرَجَةِ قَتْلِ الْبَنَاتِ خَوْفًا

مِنَ الْعَارِ ، وَقَتْلِ الْأَبْنَاءِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ .  
رَأَى الْمُلُوكَ يَتَّخِذُونَ النَّاسَ عِبِيدًا  
لَهُمْ ، وَيُعَامِلُونَ الشَّعْبَ كَأَنَّهُ قَطِيعٌ مِنَ  
الْغَنَمِ ، يَسُوقُهُ الرَّاعِي عَلَى حَسَبِ رَغْبَتِهِ  
وَمَصْلَحَتِهِ ، وَلَا يُفَكِّرُ فِي الشَّعْبِ  
أَوْ مَصْلَحَتِهِ . لِهَذَا كُلِّهِ اضْطُرَّ مُحَمَّدٌ أَنْ  
يَعِيشَ بَعِيدًا عَنِ هَذَا الْمُجْتَمَعِ الْفَاسِدِ .  
فَكَانَ يَزُورُ الْكَعْبَةَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ ،  
وَيَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ،  
وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ قَوْمَهُ إِلَى الْحَقِّ .





المَسْجِدُ الْحَرَامُ  
( في العام سنة ١٣٧٢ هـ بمكة المكرمة )

وَكَثِيرًا مَّا كَانَ يَتْرُكُ بَيْتَهُ ، وَيَذْهَبُ  
إِلَى غَارٍ حِرَاءٍ فِي الْجَبَلِ بِالقُرْبِ مِنْ  
مَكَّةَ ، وَيَمْكُثُ هُنَاكَ مُدَّةً ثُمَّ يَعُودُ إِلَى  
بَيْتِهِ . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تُرْسِلُ إِلَيْهِ طَعَامَهُ  
وَشَرَابَهُ هُنَاكَ . وَأَحْيَانًا تَعِيشُ مَعَهُ فِي  
الْغَارِ لِمُعَاوَنَتِهِ وَمُشَارَكَتِهِ فِيمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ  
لَهُ ، وَالتَّفَكِيرِ فِي خَالِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ،  
وَالسَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ، الْمُنَظَّمِ لِهَذَا  
الْعَالَمِ كُلِّهِ . وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ  
النُّورُ بَعْدَ الظُّلَامِ ، وَيُرْسِلَ اللَّهُ رَسُولًا  
مَتَى وَصَلَ الْفَسَادُ إِلَى نِهَائِيهِ ؛ رَأْفَةً



بِخَلْقِهِ ، وَرَحْمَةً بِعِبَادِهِ . وَأَحْسَنَ النَّاسُ  
بِالْحَاجَةِ إِلَى نَبِيِّ يُنْقِذُ الْعَالَمَ مِمَّا فِيهِ مِنَ  
الْفَسَادِ ، وَيُزِيلُ الظُّلْمَ عَنِ الْفُقَرَاءِ  
وَالْمَظْلُومِينَ ، وَيُصْلِحُ الْعَالَمَ ، وَيَدْعُو  
إِلَى الْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ ، وَعِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ ،  
وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْحِجَارَةِ وَالْأَصْنَامِ .

رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَقَدْ بَلَغَ مُحَمَّدٌ مِنَ الْعُمْرِ فِي ذَلِكَ  
الْوَقْتِ سِنَّ الْكَمَالِ ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ سَنَةً ،  
فَأَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ؛ لِيُخْرِجَ  
النَّاسَ مِنَ الظُّلَامِ إِلَى النُّورِ ، وَمِنَ الْجَهْلِ



إِلَى الْعِلْمِ ، وَمِنَ الرَّذِيلَةِ إِلَى الْفَضِيلَةِ .  
وَذَاتَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ٦١٠  
مِنَ الْمِيلَادِ كَانَ مُحَمَّدٌ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ  
حِرَاءٍ . فَنَامَ وَغَلَبَهُ النَّوْمُ ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ  
الْمَلَكُ وَهُوَ جَبْرِيلُ ، وَنَادَى :  
« يَا مُحَمَّد » ، فَاسْتَيْقَظَ عَلَى هَذَا  
النِّدَاءِ ، فَقَالَ جَبْرِيلُ : « اقْرَأْ » فَأَجَابَ  
مُحَمَّدٌ بِمَا مَعْنَاهُ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ .  
فَكَرَّرَ جَبْرِيلُ الْأَمْرَ ، وَقَالَ لَهُ : « اقْرَأْ »  
فَأَجَابَ مُحَمَّدٌ وَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ  
الْقِرَاءَةَ . وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ضَغَطَ عَلَيْهِ

جَبْرِيلُ بِقُوَّةٍ وَقَالَ لَهُ : « اِقْرَأْ » فَسَأَلَ  
 مُحَمَّدٌ جَبْرِيلَ : « مَاذَا أَقْرَأُ ؟ » فَقَالَ  
 جَبْرِيلُ : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي  
 خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ <sup>(١)</sup> . اِقْرَأْ  
 وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ  
 الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . فَقَرَأَ مُحَمَّدٌ  
 الْآيَاتِ الَّتِي أَمَرَهُ جَبْرِيلُ بِقِرَائَتِهَا ،  
 وَحَفِظَهَا عَلَى ظَهْرِ قَلْبِهِ . ثُمَّ سَمِعَ جَبْرِيلَ  
 وَهُوَ يَقُولُ : « أَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا  
 جَبْرِيلُ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ لِهَدَايَةِ الْعَالَمِ

(١) جَمْعُ عَلَقَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمُتَمَاسِكَةُ مِنَ الدَّمِ .

إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ » فَخَرَجَ مُحَمَّدٌ مِنْ  
الْغَارِ ، وَهُوَ خَائِفٌ يَرْتَعِدُ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى  
بَيْتِهِ . وَعِنْدَ وُصُولِهِ قَالَ لِزَوْجَتِهِ بِصَوْتٍ  
مُضْطَرَبٍ : « زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي » أَيْ  
غَطُّونِي ، وَضَعُوا الْغِطَاءَ فَوْقِي .

غَطَّتْهُ خَدِيجَةُ ، وَأَنْزَعَجَتْ عِنْدَ رُؤْيَا  
زَوْجِهَا وَهُوَ يَرْتَعِشُ ، وَرَأَتْ أَنَّ الْأَفْضَلَ  
أَلَّا تَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَرِيحَ ،  
وَجَلَسَتْ بِجَانِبِهِ حَتَّى تَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ ،  
وَتُقَدِّمَ لَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ذَهَبَتِ الرُّعْدَةُ الَّتِي أَصَابَتْ



مُحَمَّدًا ، فَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي  
يُقَابِلُ فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَكَانَتْ صَدْمَةً لَهُ .  
أَفَاقَ مُحَمَّدٌ ، وَرَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الْعَادِيَّةِ ،  
وَأَخْبَرَ زَوْجَتَهُ بِكُلِّ مَا حَدَثَ لَهُ .  
وَبِحِكْمَتِهَا طَمَأنَنَتْهُ وَشَجَّعَتْهُ ، وَقَالَتْ  
لَهُ : كَلَّا ، وَاللَّهِ ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا .  
إِنَّكَ تَعْطِفُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ ، وَتَصْدُقُ  
فِي كُلِّ مَا تَقُولُ ، وَتُوَدِّي الْأَمَانَةَ ،  
وَتُحْسِنُ إِلَى الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ ،  
وَتُكْرِمُ الضَّعِيفَ ، وَتَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ

مِنَ الظَّالِمِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَكَ  
لِهِدَايَةِ قَوْمِكَ ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ  
الْمُسْتَقِيمِ .

وَلَكِنِّي تَتَأَكَّدُ خَدِيجَةُ مِنَ الْأَمْرِ ذَهَبَتْ  
هِيَ وَزَوْجُهَا مَعًا إِلَى ابْنِ عَمِّهَا . وَهُوَ  
وَرَقَةُ بْنُ نُوفَلٍ ، الْعَالِمُ الْمَسِيحِيُّ ، الَّذِي  
قَرَأَ الْكَثِيرَ مِنَ الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ بِعِنَايَةِ  
وَفَهَمَ . فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : — يَا ابْنَ  
عَمِّي ، إِسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ . فَقَالَ  
وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي ، مَا حَدَّثَ ؟ فَأَخْبَرَهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا رَأَاهُ . فَقَالَ

وَرَقَّةٌ : هَذَا هُوَ الْمَلَكُ جَبْرِيلُ الَّذِي نَزَّلَهُ  
اللَّهُ عَلَى مُوسَى وَعِيسَى مِنْ قَبْلُ . قَدْ  
أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ .  
وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَنْ يُصَدِّقَهُ قَوْمُهُ .  
وَسَيُؤْذُونُهُ . وَيُعَذِّبُونَهُ . وَسَيُخْرِجُونَهُ  
مِنْ مَكَّةَ ، وَسَيُقَاتِلُونَهُ ، وَيَكْرَهُونَهُ  
حِينَمَا يُطَالِبُهُمْ بِتَغْيِيرِ دِينِهِمْ . فَتَعَجَّبَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا قَالَهُ وَرَقَّةٌ عَنْ  
قَوْمِهِ بِمَكَّةَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مِقْدَارَ حُبِّهِمْ  
لَهُ ؛ حَتَّى سَمَّوْهُ الْأَمِينَ . وَسَأَلَ وَرَقَّةٌ :



هَلْ سَيُخْرِجُونَنِي مِنْ بَلَدِي ؟ فَأَجَابَهُ  
وَرَقَةُ : « لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ مُطْلَقًا بِمِثْلِ  
مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي . » أَيْ قُوتِلَ  
وَأُوذِيَ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ . وَفِي ذَلِكَ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ  
فِي مِلَّتِنَا . » وَلَكِنِّي يُتِمُّ وَرَقَةُ تَصَدِيقَهُ  
بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ  
لَهُ : وَإِذَا بَقِيتُ حَيًّا حِينَمَا تَدْعُو النَّاسَ  
إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ سَأُسَاعِدُكَ بِكُلِّ قُوَّتِي .

ثُمَّ قَبْلَ مُحَمَّدًا وَرَجَا لَهُ كُلَّ تَوْفِيقٍ .  
وَلَكِنَّ وَرَقَةَ مَاتَ بَعْدَ قَلِيلٍ .

رَجَعَ مُحَمَّدٌ إِلَى بَيْتِهِ وَمَعَهُ خَدِيجَةُ ،  
وَفَكَّرَ كَثِيرًا فِيمَا قَالَهُ وَرَقَةُ ، وَفِي  
الصُّعُوبَاتِ الَّتِي سَتَعَرَّضُوهُ ، وَلَكِنَّهُ  
سَمِعَ صَوْتًا يَقُولُ لَهُ : لَا تَخَفْ ،  
وَلَا تَحْزَنْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ ، وَسَيَنْصُرُكَ  
حَتَّى تَقُومَ بِأَدَاءِ رِسَالَتِكَ الَّتِي اخْتَارَكَ  
لَهَا . وَأَحْسَتْ خَدِيجَةُ بِالسَّعَادَةِ بَعْدَ  
زِيَارَةِ ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ ، وَاسْتِمَاعِهَا  
لِأَقْوَالِهِ .

انْقَطَعَ جَبْرِيلُ مُدَّةً عَنِ الرَّسُولِ ،  
حَتَّى حَزِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَافَ  
أَنْ يَكُونَ انْقِطَاعُهُ عَنْهُ عُقُوبَةً مِنَ اللَّهِ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ سَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ،  
فَرَفَعَ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ( عَيْنِيهِ ) ، فَوَجَدَ  
جَبْرِيلَ جَالِسًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،  
فَخَافَ ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَقَالَ  
لِخَدِيجَةَ : « دَثُرُونِي دَثُرُونِي » أَيْ  
لَفُونِي فِي ثِيَابِي . وَبَعْدَ ذَلِكَ صَارَ مُحَمَّدٌ  
رَسُولًا لِلْعَالَمِ كُلِّهِ .